● حسين احمد الجاف ●

صفحات مشرقة

من تاريخ الاسرة البدرخانية

عرفت هذه الاسرة الكردية الشهيرة بطول باعها في مضامير الكفاح البطولي من اجل قضية الشعب والوطن لعقود طويلة تقرب من العشرين. لقد كان مؤسسها عبدالعزيز بن عمر الذي سميت جزيرة بوتان الشهيرة باسم أبيه قد كوّن حكومة سميت بالحكومة العزيزية استمرت حتىٰ عام 1847. وقد تمتعت بسلطة كاملة الاستقلال الى عهد السلطان سليمان في حدود عام (1566) ميلادية حيث قام الامير شاه علي بيگ في الوقت الذي كان يتمتع بصلاحيات كاملة في ادارة امارته ذات الحكم الذاتي بالاعتراف بحماية الاتراك لامارته فضلا عن اقراره لهم بدفع مبلغ من المال الى خزينة الحكومة التركية كجزية. وفي السنوات اللاحقة قام الامراء الاكراد في هذه الجزيرة بثورات ضد العثمانين بينما زودتهم هذه الامارة الكردية بفرقة الطوارئ اثناء الحروب في سنوات اخرىٰ. وعلى أيام السلطان سليمان القانوني سار الامير الكردي على رأسى مجموعة من رجاله الاشداء حتى وصل الى فيينا.

وفي عام 1839 عين السلطان العثماني الامير البدرخاني الحاكم في الجزيرة نقيباً فخرياً في الجيش العثماني ليشارك بعدئذ في معركة (نصيبين) التي اصيب العثمانيون خلالها بهزيمة مريرة على ايدي ابراهيم باشا بن محمد على باشا الكبير. وعلى اثر تلك الواقعة ... سحب الامير فرقة الطوارئ الكردية التي كانت بإمرته الى مدينة ديار بكر ومن هناك الى جزيرة بوتان حيث استغل أفول نجم الحكم العثماني فقرر توسيع حدود إمارته لتشمل (هه كاريى) حيث استقبل من قبل اهاليها بالحب والتقدير الكبيرين مثلما أبدوا له استعدادهم للدفاع عن أرضهم. بيد ان هذه الاحداث ملأت قلوب رجال الباب العالي بالقلق والذين خافوا من احتمال وقوع أو انضمام المقاطعات الكردية الاخرىٰ في كردستان الى حكم الامارة البدرخانية .. عندئذ قرر العثمانيون منح عمر باشا رتبة (مارشال) بصلاحيات واسعة جداً لجمع مايريد من جنود والتوجه على الفور لسحق الامير الكردي الطموح. فحشد الاتراك قواتهم في ديار بكر ثم انطلقوا لغزو الامارة الكردية ورغم ان المعركة التالية لم تكن حاسمة الا ان الامير بدرخان اجبر على التقهقر نتيجة نقص في الذخائر ليعتصم في حصن بمدينة (إيڤراك) التي احتلت هي الاخرىٰ بعد عدة شهور من المقاومة الباسلة ثم اعتقل الامير بدرخان وارسل الى القسطنطينية بعد الهزيمة وذلك في عام 1847 حيث بقي فيها نحو ستة شهور قبل ان ينفىٰ الى جزيرة (كريت) اليونانية ويأخذ معه مائتي شخص من اتباعه الذين ساهموا فيما بعد بصورة فعالة في قمع الثورة اليونانية التي نشبت ضد الحكومة العثمانية[2].

واعترافاً بهذه الخدمة استدعي بدرخان الى القسطنطينية حيث سمح له بالاقامة فيها ... ثم نزح بعد ذلك الى دمشق حيث اقام فيها حتى وفاته عام (1870) في سن الخامسة والستين ودفن في الصالحية في دمشق .. ويقع قبره قرب قبر القائد الكردي الشهير صلاح الدين الايوبي. خلّف الامير بدرخان (90) إبناً. لقد شخصت هذه الاسرة وباستمرار بحركات الانبعاث الثوري الكردي ضد سلطات آل عثمان كما كانت هناك مجموعة خاصة بها من رموز الشيفرة السرية بالتركية تحتفظ بها عنهم المخابرات العثمانية.

لقد عانىٰ كل فرد من افراد الاسرة البدرخانية مهما كان

حجم نشاطه ومقدرته من مرارة النفي وقسوة الاعتقال. وفي عام (1880) بسط عثمان باشا نفوذه على الجزيرة واحتفظ بها لمدة ستة شهور ثم دعته الحكومة التركية الى الاستسلام مغرية إياه بوعود للاعتراف جزئياً بحكمه وعلى اثر إستسلام عثمان باشا وتصديقه للوعود، لم تف تلك الحكومة - كالعادة[9] - بوعودها .. انما حصل العكس منها تماماً .. فقد احتلت الجزيرة واعتقلت عثمان باشا مع عدد كبير من الاسرة البدرخانية ليعانوا جميعاً ومن جديد سنوات اخرىٰ من الاضطهاد والحرمان والتشديد وفي عام (1910) انتخب حسين باشا وحسن بيگ كممثلين لكردستان. وحالما علمت دوائر الاتحاد والترقي بهذا الامر، اصدرت اوامرها باعتقالهما ... عندئذ فر الرجلان الى الجبال حيث بقيا فيها بشكل غير مستقر لمدة ستة شهور. أما سليمان بيگ وكان احد الذين لجأوا معه الى الجبال فقد ظل خارجا على الحكومة التركية لمدة ثلاث سنين ثم اعتقل في (ديرگول) على اثر دسيسة دبرها ضده عبدالرحمن آغا شيراخ والذي كان منافسا مريراً لهذهِ الاسرة المكافحة.

وفي السنوات الاخيرة وعلى اثر الاحساس بالقنوط واليأس الذي اصيبوا به نتيجة لعدم امكانهم القيام بأية حركة ضد العثمانين لتحقيق حرية شعبهم وبلدهم دون مساعدة من أحد، رنا آل بدرخان بأبصارهم تجاه روسيا طلباً للمساعدة. وكان وراء هذا التحرك بشكل رئيسي كل من كامل بيگ وعبدالرزاق بيگ اللذين عينهما الروس كواليين على بتليس وارضروم عام 1917 وفي عام 1918 اعتقل عبدالرزاق بيگ من قبل الترك ليدسوا له السم في الموصل. ويقال ان كامل بيگ بقي في تفليس. وكتعويض لما خسره البدرخانيون من اموال وممتلكات شخصية فقد خصصت الحكومة راتباً تقاعدياً قدره مائتي ليره شهرياً الى الاسرة البدرخانية.

وتبين لنا القائمة التالية اسماء اهم اعضاء الاسرة البدرخانية الذين كانوا علىٰ قيد الحياة عام (1919) وهو عام اعداد التقرير الذي قدمه الميجور نوئيل على اثر زيارته لكردستان الشمالية.

(أبناء بدرخان الذين كانوا على قيد الحياة عام 1919)

1 - **امين عالي بدرخان** : ممثل هذهِ الاسرة وابرز اعضائها طويل القامة .. أشيب اللحية .. ذو حضور شخصي قوي ويملك نفوذاً عظيماً وتأثيراً شخصياً بالغ القوة بين الاكراد خاصة اكراد بوتان. وكان الاتراك يفكرون في مسألة تعيينه والياً على ديار بكر في ربيع عام 1919 ولكنهم عدلوا عن هذهِ الفكرة بسبب ادراكهم العميق لعدم استطاعتهم تجريد امين عالي بدرخان عن احلامه القومية في وطن مستقل وحر. وخلال حياته قام بمعاولتين للفرار من منفاه في القسطنطينية لكنه اعتقل للمرة الاولى في طرابزون، واعتقل ثانية في بايزيد بعد تبادل اطلاق النيران.

2 - **طاهر بيگ** : يقيم في قونيه حيث يتمتع بشهره وخبره واسعة كمحامي. انه رجل أليف وودود وفي غاية اللطف والادب ولايبدو أنه يتميز بقوة شخصية كبيرة أو بنفوذ طاغ بين الاكراد.

3 - **محمد علي بيگ** (ليس مهماً) : عقيد متقاعد يقيم في القسطنطينية. كان آمراً - في وقت ما - لجندرمة مدينة بيروت.

4 - **حسن بيگ** : عضو المجلس البلدى في القسطنطينية. انتخب ممثلاً عن كردستان عام 1910 عندما اصدرت دوائر الاتحاد والترقي أمراً باعتقاله. وبعد ستة شهور من الوجود القلق في الجبال، القي القبض عليه ورمي في السجن حيث عومل بفظاعة. وكنتيجة لعمليات التعذيب البشعة التي تلقاها في سجنه اصيب بالصمم وبمرض فقدان الذاكرة.

5 - **مراد بيگ** : (ليس ذا اهمية) : - عضو المجلس البلدي في القسطنطينية.

6 - **خليل بيگ** : رجل متقدم في السن ... لكنه مرح وودود للغاية ويتمتع بقابليات فذه وشعور عال بالمسؤولية ويمتلك طريقة فذه ولطيفة للتعامل مع رجال القبائل الاكراد. لعل ضعفه يكمن في كونه ليس عملياً جداً ولاحاسباً في مواقفه ويفتقد الثبات على المبدأ. كان متصرفاً على مدينة ملاطيا.

7 - **عبدالرحمن بيگ** : قضى (15) سنة في سويسرا حيث اقترن بفتاة سويسرية. ويقال انه رجل ثابت الفكر وذو نظرة وآراء تقدمية. كان متصرفاً على (آيدين) خلال فترة الاضطرابات بين الترك واليونانيين حيث تصرف بحكمة ملفتة للنظر أثناء تلك الاضطرابات.

8 - **زهير بيگ** : اقطاعي كبير يسكن دمشق ولايتمتع بمكانه مهمة بين الكرد. ويقال انه أحدب الظهر.

9 - **كامل بيگ** : منذ تأريخ مبكر وهو يرتبط بعلاقة صداقة

وطيدة مع الروس الذين عينوه والياً على ارضروم عام (1917). ويقال انه خدم في الجيش الروسى كضابط. ويقال بانه مازال موجوداً في تفليس الآن (اي في زمن اعداد التقرير عام 1919).

أما أبناء امين عالي بدرخان منهم :

1 ـ **ثريا بدرخان** : صحفي يعمل في مصر. مدح مناقبه الجنرال ديديس.

2 ـ **حكمت بيگ** : مدير في ولاية قونية.

3 ـ **جلادت علي** : يعمل مساعداً لرئيس تحرير جريدة (سه ربه ستى) أي (الحرية) التي كانت تصدر في القسطنطينية والتي انتهجت سياسة متعاطفة مع الانكليز بغية التزامهم بالقضية الكردية. انه يعاني من الاثار المؤلمة لاقامته الطويلة في القسطنطينية وتدربه فيها ولكنه يمتلك كل اخلاقيات الرجل الفاضل.

4 ـ **كامران علي بدرخان** : محام .. يعرف القليل من الكرمانجية[4] شخص عاقل وهادئ ولم يتقدم الى الصف الامامي من الطبقة البدرخانية لحد الآن.

5 ـ **توفيق بيگ** : يدرس علم الغابات في ميونيخ.

6 ـ **صافدار** : يقيم مع ابيه في مدينة القسطنطينية.

أما أبناء طاهر بيگ بدرخان منهم :

1 ـ فريد بيگ : مدير المؤسسة الشعبية في (ايماريت)

أما ابناء خليل بيگ منهم :

1 ـ فايز بيگ : قائمقام سابق.

2 ـ آصف بيگ : استاذ اللغة الفرنسية في الليسيه الحكومية بمدينة القسطنطينية.

أما الاعضاء البارزون الاخرون من الفروع البدرخانية الاخرى منهم :

أ ـ حسين حسني باشا : اشغل وظيفة متصرف في العديد من السناجق. عضو في المجلس العام للدولة.

ب ـ حسين عوني : رجل طويل محافظ يرتدي نظارات طبية يعمل استاذاً في الكلية الحربية في القسطنطينية. يعطيك انطباعاً بحضور قوى وبامكانيات شخصية بالغة التأثير. حاسم وعملي.

ح ـ عبدالقادر : شقيق حسين عوني. رائد في صنف المشاة.

د ـ العقيد بدرخان بيگ : ـ شقيق عبدالرزاق بيگ الذي دس له الاتراك السم في الموصل عام 1918. التزم بدرخان بيگ منذ البداية جانب الحكومة التركية ولايتعاطف مع الحركة القومية الكردية.

لعل فيما استعرضناه من سيرة لاشخاص عملوا في مجال خدمة وطنهم وضحوا بالغالي والنفيس من اجل مستقبل شعبهم في التحرر والحياة الكريمة، تذكرة لابناء الاجيال الجديدة ... وعسىٰ ان نكون قد وفقنا ـ ولو الى حد ما ـ في هذا المقال من القاء بعض الضوء على حياة ونضالات ابناء هذه الاسرة الكردية المناضلة التي خطت بدماء ابنائها تأريخاً مشرقاً لابناء هذا الشعب العريق.

الهوامش : ـ

1 ـ هذا القسم مستل من ترجمتي لمذكرات (الميجور نوئيل في كردستان) والتي آمل طبعها قريباً. وتلك المذكرات كانت حصيلة رحلة قام بها الميجور نوئيل الى مناطق أعالى دجلة في كردستان الشمالية والتي يصفها الميجور نوئيل بانها كانت رحلة ذات اهداف خاصة.

2 ـ قام اليونانيون بثورة عارمة على الحكم الاستبدادي العثماني الذي كان يخيم بكلكله الثقيل عليهم. غير ان الاكراد المنفيين من وطنهم بسبب قيامهم بثورة للمطالبة بحقوقهم القومية وتحرير ارضهم، ساهموا ـ بكل اسف ـ في قمع الثورة اليونانية تلك والتي قامت مطالبة برحيل العثمانيين عن بلادهم وهو ذات المطلب الذي طالب الكرد به عندما قاموا بثورتهم. غير ان الاستعمار العثماني الذي كان يلبس لبوس الدين ظاهرياً ويعمل لتتريك كافة الشعوب الخاضعة له واستعبادها، حرك المشاعر الدينية عند الكرد المنفيين لضرب اليونانيين بهم.

3 ـ لطال كانت الحكومة العثمانية توعد الكرد بالوعود لتحقيق امانيهم القومية ولكن كانت تنكث بوعدها المرة تلو الاخرى.

4 ـ اني استغرب مثل هذا الكلام غير الدقيق عن الدكتور كامران بدرخان فالمثقفون يعرفون ان له مؤلفات عديدة في اللغة والادب الكرديين فضلا عن قواميس كردية ـ فرنسية وما الى ذلك.